الفصل الحادي عشر

عواصم مصر الإسلامية

obeikandl.com

obeikandl.com

عواصم مصر الإسلامية

كان من الطبيعي بعد الفتح الإسلامي لمصر أن يصطبغ كل شيء فيها بالصبغة العربية الإسلامية ، وأن تتحول مصر من ولاية بيزنطية إلى ولاية إسلامية في مظهرها وجوهرها.

وكان من أهم مظاهر هذا التغير ما طرأ على بناء وتشييد المدن الإسلامية ، ومثال لذلك بناء مدينة الفسطاط على يد عمرو بن العاص سنة ٢١هـ/٦٤١م ، وبناء العسكر خلال العصر العباسي ، وبناء القطائع ، ثم الجيزة ثم حلوان والعباسة والقاهرة وغيرها.

بناء الفسطاط :

أسس القائد العربي الفاتح عمرو بن العاص مدينة الفسطاط بعد فراغه من فتح مدينة الإسكندرية الفتح الأول[١] ، وعن سبب بناء الفسطاط يقول ابن عبد الحكم: "أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية رأى بيوتها وبنائها مفروغا منها ، فهم أن يسكنها ، وقال :مساكن قد كفيناها ، فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يستأذنه في ذلك ، فسأل عمرﷺ الرسول : هل يحول بيني وبين المسلمين ماء؟ ، قال: نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل ، فكتب عمرﷺ إلى عمرو إني لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف ، فأتجه عمرو من الإسكندرية إلى الفسطاط"[٢].

وقد تعددت أراء المؤرخين حول لفظ فسطاط الذي أطلق على العاصمة الجديدة ، ويذكر الجواليقي أن لفظ فسطاط فارسي معرب[٣] ، والأصوب أن هذا اللفظ مشتق من اللفظ اليوناني فساطن . ذلك اللفظ الذي أشتق من اللفظ اللاتيني "*fassatum*" الذي كان يطلقه الرومانيين على معسكراتهم الحربية ، وكانت كلمة فسطاط شائعة في أرجاء الإمبراطورية البيزنطية بالنسبة للمعسكرات والحصون وليس في مصر فقط[٤].

(١) المقريزي: الخطط ، جـ١ ص٢٨٦
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩١
(٣) الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي ، ص٢٤٩
(٤) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص٢٥٠ ، مصطفى العبادي : ابن عبد الحكم ومصر عند الفتح العربي ، مقال بالمجلة التاريخية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥م ، ص٩٤

وسميت كذلك نسبة إلى فسطاط عمرو أي خيمته التي تركها في ذلك المكان عندما أراد التوجه صوب الإسكندرية بعد فتح حصن بابليون ، إذ وجد يماما قد فرخ فقال عمرو: "لقد تحرم منا بحرم" ، وأقر فسطاطه كما هو وأوصى به صاحب القصر ولما عاد المسلمون من الإسكندرية قالوا: "أين ننزل؟" ، قال: "الفسطاط" ، أي لفسطاطه الذي كان خلفه[١] ، واسم فسطاط كان موجودا قبل تأسيس الفسطاط ، وقد احتفظ العرب بتلك التسمية بعدما احتلوا حصن بابليون[٢].

أما عن موقع الفسطاط فإن موقعها يدل على نظرة صائبة من قبل العرب ، إذ يمتاز موقع هذه المدينة بتوسطه بين مصر السفلى والعليا ، وله عدة مزايا سياسية وتجارية وحربية ، ويذكر "أن حصن بابليون الذي يقع قريبا من موقع منف كانت فيه إحدى الحاميات الثلاث في مصر"[٣] ، وأثبتت الحفريات أنها قامت على كتلة عظيمة من الصخر تشمل هضابا ووديان[٤] ، وكان وجودها على هذه الربوة يمنع فيضان الماء عليها ، وكانت هذه الربوة مغطاة في وقت ما بأحجار كبيرة جدا فكسرت وسويت[٥].

وكان جانب المدينة الشرقي جبليا ، يتكون من جبال حجرية غير عالية كالتلال ، وكانت تبدو حين ينظر إليها من بعيد كأنها جبل[٦] ، وبهذا تحققت لها الحماية الطبيعية، ومن الناحية الحربية كان وجود الفسطاط على رأس الدلتا قد جعلها في مأمن من هجمات العدو ، فيحميها من الشرق جبل المقطم ضد العدو وضد فيضان النيل ، كما كان لها جانب يمكن أن يضطرد اتساعها منه ، وهو الشمال ، وبنيت العسكر والقطائع في هذه الناحية[٧].

وكانت الفسطاط في أول أمرها مدينة متواضعة مشيدة باللبن لا يعلو بنيانها على الطابق الواحد[٨] ، وكان هذا يتفق مع حياة البساطة التي كان عليها المسلمون في ذلك

(١) القلقشندي : صبح ، جـ٣ ص٣٢٦
(٢) سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص٢١٧
(٣) سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص٢١٦
(٤) فريد شافعي : العمارة العربية ، ص٣٤٧
(٥) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص٥٨
(٦) عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحيتها – القطائع والعسكر ، ص٥
(٧) عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحيتها ، ص٥
(٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٠٤ ، فريد شافعي : العمارة العربية ، جـ١ ص٣٥٣

الوقت ، وكما جرت العادة لدى العرب اختط عمرو أول الأمر المسجد الجامع الذي عرف بتاج الجوامع وبالجامع العتيق[١] وبجامع عمرو بن العاص وقد ظل مسجد عمرو المسجد الجامع الوحيد بمصر في عصر الولاة إلى أن شيد الفضل بن صالح بن على العباسي أثناء ولايته على مصر من قبل الخليفة العباسي المهدي جامع العسكر سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م ، واختط عمرو داره بجوار المسجد ، واختط حول داره والمسجد أحياء العرب وقبائلهم وغيرهم من أقوام الفرس والروم الذين سبق لهم الدخول في الإسلام[٢].

وما لبثت الفسطاط أن اتسعت وكثر العمران فيها وأصبح لها شأن كبير في تاريخ المدن الإسلامية فقد اتسعت المدينة وكثر فيها العمران وتغيرت أحوالها ، وتطور نظامها مع الزمن فبنيت فيها القصور والدور ، فقد بني عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر قصرا كبيرا عرف باسم قصر الحسن سنة ٢٥هـ/٦٤٥م[٣] ، كما ابتني مروان بن الحكم لنفسه بعد أن ولي الخلافة دارا عظيمة عند قدومه مصر سنة ٦٥هـ/٦٨٤م ، وشيد عبد العزيز بن مروان دار ضخمة أطلق عليها دار الذهب[٤].

وبني بالفسطاط أيضا الحمامات والميادين والأسواق ، فبني عبد العزيز بن مروان بها قيساريات العسل والحبال والبز ، وبني هشام بن عبد الله قيساريته التي تعرف بقيسارية هشام[٥] ، وهكذا شقت الفسطاط طريقها لأن تكون مدينة ذات حضارة وصارت مبانيها تتألف من أربع طبقات وخمس كالمنائر ، يدخل إليها الضياء من الوسط وانه يسكن الدار الواحدة نحو مائتي نفس[٦].

وعلى الرغم من بناء عواصم أخرى بمصر مثل العسكر والقطائع إلا أن الفسطاط ظل لها مكان الصدارة ، وكانت تزدحم بالسكان وكان بها داران للصناعة - صناعة السفن - في الفسطاط وجزيرة الروضة .

(١) ابن دقماق :الانتصار ، جـ٤ ص٥٩
(٢) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٩٦
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٣٥
(٤) محمد حمدي المناوي : مصر في ظل الإسلام ، ص١٠٨
(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٣٦
(٦) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص١٩٧

وتعرضت الفسطاط للتخريب أكثر من مرة في سنة١٣٢ هـ/٧٤٩م شهدت الحرب بين مروان بن محمد والعباسيين وأمر مروان بإحراقها[١] ، كما تعرضت للنهب عندما قدم محمد بن سليمان على رأس الجيوش العباسية سنة٢٩٢ هـ/٩٠٤م بهدف القضاء على الدولة الطولونية إذ نهب أصحابه الفسطاط[٢] ، كما تعرضت للنهب على يد الجنود الفاطميين أثناء محاولاتهم في غزو مصر وأثناء حكمهم وخصوصا زمن الخليفة الحاكم والظاهر[٣] ، وكذلك أثناء الصراع بين شاور وضرغام ، وعندما أمر شاور بإحراقها لمنع الجيش الصليبي من الاستيلاء عليها[٤].

بناء الجيزة:

وهى مدينة إسلامية بنيت سنة ٢١هـ /٦٤١م ، وقيل فرغ من بنائها سنة ٢٢هـ/٦٤٢م ، وكان السبب في بنائها أن عمرو بن العاص عندما رجع من الإسكندرية ونزل الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية[٥] ، ولما استقر في الفسطاط أمر الذين خلفهم بالجيزة أن ينضموا إليه، فرفضوا أن يتركوا أماكنهم، فكتب عمرو إلي الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بذلك فكتب إليه الخليفة : "كيف رضيت أن تفرق عنك أصاحبك ؟ لم يكن ينبغي لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينه وبينك بحر ، لا تدري ما يفجأهم ، فلعلك لا تقدر على غيثهم حتى ينزل بهم ما تكره فاجمعهم إليك ، فإن أبو عليك وأعجبهم موضعهم ، فابن عليهم من فيء المسلمين حصنا"[٦]، فعرض عمرو ذلك عليهم ، وأخبرهم بكتاب الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، فامتنعوا من الخروج من الجيزة ، فأمر عمرو ببناء الحصن ، فبنى سنة ٢١/٦٤١م ، وتم بنائه سنة

(١) الكندي : الولاة والقضاة ، ص٩٥
(٢) محمد حمدي المناوي : مصر في ظل الإسلام ، ص١١٢
(٣) أحمد عبد الرزاق :تاريخ وأثار مصر ، ص٦٧
(٤) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٨٦
(٥) ابن دقماق : الانتصار ، جـ١ ص١٢٦ ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٠٦
(٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٢٨

٢٢هـ/٦٤٢م وأمرهم عمرو بالخطط بها[١] ، وأسكنها العديد من القبائل العربية منها قبيلة أصبح من القحطانيه ، ويافع بن الحارث ، وهمدان ، وبني حجر[٢].

حلوان :

يقال أنها تنسب إلي حلوان بن بابليون بن عمر بن امرئ القيس بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وكان حلوان بالشام[٣].

وعندما وقع بمصر طاعون سنة ٧٠هـ/٦٨٩م خرج والي مصر في تلك الفترة عبد العزيز بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م)[٤] من مصر ، ونزل بحلوان ، فأعجبته ، فأتخذها سكنا ، وجعل بها الحرس والأعوان والشرط ، وبنى بها الدور والمساجد وعمرها أحسن عمارة، وبنى بها دار الأمارة[٥] ، وشيد بها مقياسا للنيل سنة ٨٠هـ/٦٩٩م[٦].

العسكر ١٣٢هـ :

كانت الضاحية الأولى التي أنشأت بالفسطاط هي مدينة العسكر هي ثاني مدن مصر الإسلامية وقد أنشأت العسكر في شمال شرقي الفسطاط ، في المنطقة المعروفة بالحمراء والقصوة[٧] ، وقد أنشأت العسكر بعد تغلب العباسيين بقيادة صالح بن علي بن عبد الله العباسي على آخر الخلفاء الأمويين "مروان بن محمد" سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م ، وقد أنشئت العسكر في هذا الموضع أما لرغبة العباسيين في أن يتخذوا لأنفسهم مقرا لم يسبقهم إليه غيرهم ، وأما لأن مروان ابن محمد قد أضرم حريقا في الفسطاط خرب جانبا كبيرا منها[٨] ، وكانت هذه المدينة قد أسست لإيواء العسكر العباسي فسميت بالعسكر وشيد

(١) هويدا رمضان : المجتمع ، جـ٢ ص١١،١٠
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١١٣ ، خورشيد : القبائل العربية ، ص٢٦٠ ،٢٥٤
(٣) المقريزي: الخطط ، جـ١ ص٢٠٩
(٤) الكندي : ولاة مصر ، ص٧٠
(٥) الكندي: ولاة مصر، ص٧٢، المقريزي: الخطط ، جـ١ ص٢٠٩، هويدا رمضان : المجتمع في مصر ، ص٢٥٥
(٦) ابن دقماق :الانتصار ، جـ٥ ص٧٥،٧٦ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٢٤ ص٦١١
(٧) فريد شافعي : العمارة العربية ، جـ١ ص٣٨٣
(٨) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٨٦

فيها دارا للإمارة ، ومسجدا جامعا عرف بجامع العسكر[١] ، وقد نزل ولاة مصر العباسيون في العسكر بعد تأسيسها[٢] ، وكانت مقرا لشرطة خاصة عرفت بالشرطة العليا ، وكانت مدينة ذات أسواق ودور عظيمة ومحال لم يبق منها إلا القليل[٣].

وبعد تأسيس العسكر بقليل ورد كتاب أبو جعفر المنصور إلى يزيد بن حاتم يأمره بالتحول من العسكر إلى الفسطاط ، وذلك سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م[٤] ، ويذكر المقريزي "أنه في سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م أثناء ولاية السري بن الحكم أذن للناس في البناء في مدينة العسكر ، فامتدت مباني المدينة بالفسطاط وصارتا مدينة واحدة[٥] ، وكان من أهم الدور التي بنيت بالعسكر إلى جانب دار الإمارة دار كافور الإخشيدي التي بناها على بركة قارون وأنفق عليها مائة ألف دينار ، وسكنها سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م ، ثم انتقل منها بعد أيام لوباء وقع في غلمانها من بخار البركة"[٦].

ومن المباني التي أنشأت بالعسكر قبة الهواء ، وهي دار شيدها حاتم بن هرثمة أحد ولاة مصر (١٩٤-١٩٥هـ/٨٠٩-٨١٠م)[٧] من قبل الخليفة الأمين العباسي ، على جبل المقطم وقد استمرت قائمة حتى عصر الطولونيين ، وقد شيدها من الحجارة وغيرها من مواد البناء[٨].

وقد ظلت العسكر مقرا للولاة العباسيين ، حتى قدم أحمد بن طولون إلى مصر وأقام بها مدة ، ولما كثرت عساكره تحول عنها إلى مدينة القطائع التي بناها إلى الشمال الشرقي منها ، ولما خربت القطائع وزالت الدولة الطولونية عاد ولاة مصر للنزول بالعسكر من جديد، حتى دخل الفاطميون مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م ، وأسسوا مدينة القاهرة فتحول مركز الحكم إليها[٩].

(١) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٣٠٤ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ١ ص١٣٣
(٢) الكندي : الولاة والقضاة ، ص١٠٧
(٣) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٣٠٥
(٤) الكندي : الولاة والقضاة ، ص١١٥،١١١
(٥) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٣٠٤
(٦) هويدا رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية ، جـ٢ ص٢٤٩
(٧) الكندي: الولاة والقضاة ، ص١٣٦
(٨) هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع المصري ، جـ٢ ص٢٤٩
(٩) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص٢٦٤

القطائع ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م :

استمر أحمد بن طولون بدار الإمارة بالعسكر حتى كثرت عساكره وعبيده ، وضاقت بهم مدينة الفسطاط ، فأمر ببناء مدينة شرقي مدينة الفسطاط سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م في المنطقة الواقعة بين جبل يشكر حد الفسطاط الشمالي وبين سفح جبل المقطم ، وكان هذا الموقع يعرف بقبة الهواء[١].

اختلفت القطائع في تخطيطها عن مدينة الفسطاط فقد قسمت على أساس الطوائف والحرف ، فقد كانت كل قطيعه تعرف باسم من اتخذها سواء من تجمعهم رابطة الجنسية أو رابطة العمل ، فكانت للنوبة قطيعه ، وللروم قطيعه ، وللفراشين قطيعة ، والبزازين قطيعة والعطارين ، وسوق الشوائين ، وسوق الطباخين ، وهكذا كان لكل صنف من جميع الصنائع سوقا ، وأمر غلمانه أن يختطوا بها[٢] فبنوا حتى اتصل البناء بعمارة العسكر والفسطاط[٣] ، ولذلك سميت بالقطائع ، وكانت القطائع أول مدينة بمعنى الكلمة أنشأت في وادي النيل في العصر الإسلامي[٤] ولم يقض إنشاؤها على الفسطاط أو العسكر ولم تكن العسكر والقطائع إلا ضاحيتين من الفسطاط أو امتداد لها[٥].

ولم يكن تخطيط مدينة القطائع أو اسمها غريبا إذ كان يشبه إلى حد كبير تخطيط مدينة الفسطاط ، كما كان يطلق اسم القطائع على مدينة سامراء التي بناها المعتصم في العراق سنة ٢٢١هـ/٨٣٦م[٦].

وقد عمرت القطائع عمارة حسنة وكان يخترق المدينة شارع كبير يصل بين قصر ابن طولون وجامعه الذي شيده ، وبجواره دار الإمارة في الجهة القبلية ، ولها باب من جدار الجامع يخرج منه إلى المقصورة المحيطة بمصلى الأمير إلى جوار المحراب ، وشملت القطائع

(١) البلوي : سيرة بن طولون ، ص٥٢ ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٣١٥ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص١٠
(٢) ابن دقماق : الانتصار ، جـ٤ ص١٢١ ، البلوي : سيرة ابن طولون ، ص٥٤
(٣)المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٣١٥ ، عبد الرحمن زكي : القاهرة ،تاريخها وآثارها ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص٦
(٤) عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحيتها (القطائع والعسكر) ، ص٨٩
(٥) سيدة كاشف : أحمد ابن طولون ، ص٢٤٢
(٦) حسن أحمد محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ، ص ١٧٤

المساجد الحسان والطواحين والحمامات والأفران ، وسميت أسواقها حسب السلع المبيعة فيها[١].

وكانت أهم الدور التي بنيت في القطائع قصر أحمد بن طولون ،الذي ألحق به ميدانا كبيرا يضرب منه بالصوالجة ، فأطلق علي القصر كله الميدان ، وقد عمل للميدان أبوابا وسمى كل باب باسم وهى:

- باب الميدان : ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش.
- باب الخاصة : لا يدخل منه إلا خاصته.
- باب الجبل: كان يلي الجبل المقطم.
- باب الحرم : لا يدخل منه إلا خادم خصي أو حرمه.
- باب الدرمون : نسبة إلى أحد الحجاب.
- باب وعناج : نسبة إلى حاجب أخر.
- باب الساج : وكان يفتح على الشارع الأعظم[٢].

ولم تكن هذه الأبواب تفتح كلها إلا يوم العيد أو يوم عرض الجيش أو يوم الصدقة[٣]، أما باقي الأيام فإن هذه الأبواب كانت تفتح في وقت محدد وتغلق في وقت محدد أيضا.

ومن المنشئات في القطائع أيضا بيت الذهب الذي بنى في عهد خمارويه بن أحمد بن طولون وكانت جدرانه مطلية بطبقة من الذهب ، وجعل فيه صورا له وصور حظاياه والمغنيات بأحسن تصوير ، وجعل على رؤوسهم الأكاليل من الذهب الخالص ، وكان هذا البيت من عجائب مباني الدنيا[٤].

(١) البلوي : سيرة ابن طولون ، ص٥٤ ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٣١٥
(٢) فريد شافعي : العمارة العربية ، ص٤٢٥
(٣) أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص٦١
(٤) أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص٥٤

كما أقام خمارويه أمام القصر بركة الزئبق ، بلغ طولها خمسين ذراعا وعرضها خمسون ذراعا ، وكانت مملوءة بالزئبق وجعلها للاسترخاء ، حيث جعل عليها سريرا من أدم - جلد - يحشى بالهواء لينام عليه ، وكان منظرها عجيبا في الليالي المقمرة[١] ، وبنى خمارويه الدكه وهى تضاهى قبة الهواء ، وجعل لها ستائر يتقى بها حر الصيف وبرد الشتاء[٢] ، كما بنى خمارويه أيضا دار الحريم ، ونقل إليها أمهات أولاد أبيه مع أولادهن وأفرد لكل واحدة حجرة واسعة وأنفق عليها أموالا كثيرة[٣].

وقد خربت القطائع على يد محمد بن سليمان الكاتب وذلك خلال عهد الخليفة المكتفى بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠١-٩٠٧م) حنقا على بنى طولون عام ٢٩٢هـ/٩٠٤م وأبقى الجامع[٤].

العباسة:

هى قرية فيما بين بلبيس والصالحية من أرض السدير لم تزل منتزهاً للملوك مصر، وبها وُلد العباس بن أحمد بن طولون فسماه لذلك أبوه العباس ، ووُلد بها أيضاً الملك الأمجد تقي الدين عباس ابن العادل أبى بكر بن أيوب ، وكان الملك الكامل محمد بن العادل يقيم بها كثيراً ، ويقول "هذه تعلو مصر إذا أقمت بها أصطاد الطير من السماء ، والسمك من الماء ، والوحش من الفضاء ، ويصل الخبز من قلعة الجبل إلىَّ بها فى قلعتى وهو سخن" ، وبنى بها دورا ومناظر وبساتين ، وبنى بها أمراؤه أيضاً عدة مساكن فى البساتين ، ولم تزل العباسة على ذلك حتى أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل المنزلة الصالحية فتلاشى حينئذ أمر العباسة ، وخربت المناظر فى عهد السلطان الملوكى عز الدين أيبك.

(١) ابن دقماق : الانتصار ، جـ٤ ص١٣١ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص٥٥
(٢) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٣١٧
(٣) أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص٥٧ ، أدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ١ ص٢٠٩
(٤) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٣٢٣

وسميت بالعباسة نسبة لبنت أحمد بن طولون عندما خرجت إلى هذا الموضوع مودعة لبنت أخيها قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون لما زفت إلى المعتضد بالله العباسي وضربت هناك فاستطابتها ثم بنت قرية فسميت باسمها[١]

القاهرة ٣٥٩هـ :

ظلت مدينه الفسطاط عاصمه لمصر، وكانت مدينه الإقليم منذ الفتح الإسلامي لمصر، وكانت منزلا للأمراء، وكثر الناس بها وزادت عمارتها، ثم لما انقضت الدولة الإخشيدية في مصر سنة (٣٢٣-٣٥٨هـ/٩٣٥-٩٦٩م)، واختلت أحوال مصر بسبب الوباء والفناء، سار الجيش الفاطمي بقياده جوهر الصقلي إلى مصر واستولى علي الفسطاط من بقايا الإخشيديين، واختط مدينه القاهرة[٢].

وعدد المقريزي موضع القاهرة فيذكر: "أنها كانت رملة فيما بين مصر وعين شمس، يمر بها الناس عند مسيرهم من الفسطاط إلى عين شمس، وهو يقع إلى الشمال من الفسطاط ويحدها من الشرق جبل المقطم، ومن الغرب خليج أمير المؤمنين"[٣].

واختط جوهر القاهرة يوم السبت لست بقين من جمادى الأخر سنة تسع وخمسين وثلثمائه، واختطت كل قبيلة خطه عرفت بها[٤]، وكانت القاهرة قد نشأت كحصن ملكي، فكان قصر الخليفة وسطها محصنا بأبواب محددة[٥].

وأراد جوهر أن يحصن المدينة وأن يعوق في الوقت نفسه عامه الشعب في كل من الفسطاط والعسكر والقطائع الوصول إلى القاهرة، فقد كان محظورا علي أي فرد اجتياز أسوار القاهرة إلا إذا كان من جند الحامية الفاطمية أو من كبار موظفي الدولة، وكان الدخول إليها لا يتم إلا بعد الحصول علي تصريح خاص[٦]، وعن طريق الأبواب الثمانية

(١) المقريزي: الخطط، ص٢٣٢
(٢) المقريزي: الخطط، جـ١ ص٣٥٠
(٣) المقريزي: الخطط، جـ١ ص٣٥٩
(٤) ابن دقماق: الانتصار، جـ٥ ص٣٦، ٣٧
(٥) عبد الرحمن فهمي: أسوار القاهرة، ص٤٦٩
(٦) عبد الرحمن فهمي: أسوار القاهرة، ص٤٦٩

التي فتحها جوهر في السور، وكان سور القاهرة سميكا بحيث يستطيع أن يمر فوقه فارسان جنبا إلى جنب[١].

وأبواب القاهرة هي :

- اثنان من السور الشمالي هما باب الفتوح وفي شرقه باب النصر.
- باب زويله في السور الجنوبي ، وفي الغرب باب الفرج .
- بابا الضلع الشرقي هما باب البرقية ، وباب القراطين[٢].
- وفي الضلع الغربي كان يوجد بابان هما باب القنطرة وباب سعادة[٣].

وكان لموقع القاهرة مميزات عديدة في مقدمتها أن نهر النيل يحيط بضاحيتها الفسطاط من الغرب ، وأتاح ذلك لسكانها فرصه إقامة العديد من القصور علي شاطئ النيل[٤] ، كما كانت محصنه بحصون طبيعية كجبل المقطم في الجنوب الشرقي ونهر النيل في الغرب ، وحصون غير طبيعية تتمثل في الأسوار التي أقيمت حول المدينة[٥].

وبصفة عامه فقد دل موقع القاهرة علي نظره صائبة رغم اعتراض المعز لدين الله الفاطمي علي اختيار موضعها[٦] ، فكان بعدها النسبي عن النهر يحميها من خطر الفيضان ، ويؤكد ذلك ابن سعيد بقوله: "أن بعد القاهرة عن مجري النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها"[٧].

وقد اختط طريق عام وسط المدينة من باب زويله جنوبا ويتصل بمدينه الفسطاط مارا فيها بين القصرين[٨] حتى باب الفتوح ، وكان يوصل إلى الفضاء الواقع في الشمال وإلى الجنوب الشرقي من قصر الخليفة يقع الجامع الأزهر الذي شرع جوهر في بنائه سنه ٣٥٩هـ/٩٧٠ م ، وأتم بنائه سنه ٣٦١هـ/٩٧٢م ليكون المسجد الرسمي للقاهرة ، وذلك بعد

(١) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٧٧
(٢) القلقشندي : صبح ، جـ٣ ص٢٥٣
(٣) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٣٨٢ ،٣٨٣ ، علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ٢ ص٩٧
(٤) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص١١٧
(٥) أبوشامة : الروضتين ، جـ١ ق٢ ص٦٨٧
(٦) القلقشندي : صبح ، جـ٣ ص٣٥٥ ، المقريزي : أتعاظ الحنفا ، جـ١ ص١١٢
(٧) ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة ص٢٥
(٨) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص٣٨٣ ، حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص١١١

أن وضع أساس القاهرة الحوانيت والأسواق مالا يقل عن عشرين ألف دكان ، وكان بها رباطات وحمامات وأبنيه أخري[١].

وقد عرفت هذه المدينة في أول الأمر باسم المنصورية تيمنا باسم المنصورية التي أنشأها المنصور بالله ثالث الخلفاء الفاطميين خارج مدينه القيروان بشمال إفريقيا[٢] ، ولم تعرف بالقاهرة إلا بعد أربع سنوات بعد أن حضر الخليفة المعز إلى مصر ورأي من قراءاته الخاصة للطالع أن هذه التسمية فأل خير إذ رأي أن أسم القاهرة مشتق من القهر والظفر[٣].

ويذكر أن سور القاهرة الذي بناه جوهر لم يعمر أكثر من ثمانين سنة ، إذ كان قد تهدم في عصر المستنصر بالله[٤] ، فاستبدل به بدر الجمالي وزير المستنصر سورا آخر ، وذلك بعد أن وسع رقعة القاهرة بمقدار ١٥٠ مترا إلى الشمال من السور القديم[٥] ، وحوالي ثلاثين مترا إلى الشرق ومثلها إلى الجنوب[٦] ، وقد تم تشييد هذا السور فيما بين سنتي ٤٨٠ - ٤٨٥هـ[٧] ، وبني هذا السور من الحجر وبقي منه ثلاثة أبواب هامة هي : باب النصر وباب الفتوح وباب زويله ، وأقدمها باب النصر ويعرف بباب العز[٨].

وبعد انتهاء الدولة الفاطمية واستيلاء صلاح الدين علي مقاليد الحكم في مصر سنه ٥٦٧هـ/١١٧١م تغير صفه القاهرة فنقلها عما كانت عليه من الصيانة وجعلها مبتذله لسكن العامة والجمهور[٩].

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص٤٨
(٢) ابن دقماق : الانتصار ، جـ٥ ص٣٥
(٣) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٣٧٧
(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص٨٩ ، عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص٤٦٩
(٥) أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، القاهرة ١٩٦٥ ، جـ١ ص٢٤
(٦) عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص٤٦٩
(٧) ابن الصيرفي : الإشارة إلى من تولى الوزارة ، ص٩٧
(٨) عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص ٤٧٤
(٩) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٣٦٤